**المحاضرة الثامنة : جماليات الأدب الصوفي**

**تمهيد :**

إن كتب الصوفية تفيض بالأخيلة والصور والتعابير في روعة وقوة ، ويزيد في جمال الأدب الصوفي أنه موصول بعلم النفس وأن له غاية نبيلة هي غرس الخلق الشريف في أنفس الرجال ، ولا يستطيب كتب التصوف إلا من يُقبل عليها وهو يعرف أنها عُصارة القلوب ، وأنها آداب ناس عرفوا الدنيا وأهلها ثم ملُّوا المجتمع وانقلبوا عليه يصفون عيوبه ومقاتله بأقلام تنضح بالسم الزعاف .

**1-** **مظاهر الجمال في الشعر الصوفي:**

كان للظّاهرة الجمالية أثرها الواضح والمتميّز في الشعر الصوفي ، والصوفي فنان ، وما شعره إلاّ تعبير عن تلك الرّوح الحالمة والمتطلّعة إلى الحضرة الإلهية للفناء في جلال الله ، ولم يكن جمال الشّكل مستمدّ من جمال الرّوح المستمدّة من الذّات الإلهيّة ، التي هي جوهر الكمال ورمز الجمال ومصدره ، يقول ابن عربي :

**طلعت بين أذرعات وبصري بنت عشر وأربع لها بدرا**

**قد تعالت على الزمان جلالا وتسامت عليه فخرا وكبرا**

**كل بدر إذا تناهى كمالا جاء نقصه ليكمل شهرا**

كونية الجمال الإلهي انعكست على مفهوم الحب ذاته ، فهو ليس انفعالا عاطفيا وإنما هو حركة وجودية تسري في كل الكائنات ، وبذلك صرّح ابن الفارض بقوله :

**وصّرّح بإطلاق الجّمال ولا تّقُلْ بِتَقْييده ميلا لِزُخْرُفِ زينة**

**فَكُلُّ مليح حُسْنُه من جمالها مُعار له ، بَلْ حُسْنُ كُلِّ مليحة**

**بها قَيْسُ لُبْنى هَامَ ، بل كلّ عَاشِقٍ كمجنون ليلى ، أو كثير عزّة**

الجمال الإلهي مطلق ، وكل ما في الوجود استمدّ جماله من ذلك النّبع الذي لا ينضب ، فصار الجمال عندهم جوهرا لا يدرك إلا بالله الذي هو جوهر مطلق ، يغمر الكون فيعتري الشاعر المتأمل هزّة الجمال بما فيها من خشوع وإيمان ، وتمتزج روحه بذلك الجمال المطلق فتشارك حسن الجمال وبهاءه .

الرؤية الصوفية للذات الإلهية في شعرهم هي في المقام الأول رؤية جمالية ، والخالق جل وعلا كما هو محبة مطلقة ، فهو أيضا في تصورهم جمال مطلق ، لذلك يقف الصوفي حائرا بين جلال الله وجماله ، كما يقول ابن الفارض : فدهشت بين جماله وجلاله.